

الباني الشرير والثعلب الماكر والأب المتسلط.. صور نمطية للرجل في أدب المرأة

كاتبات عربيات يأخذن الرجل إلى دور «اللابطل» في ما يكتبنه



الرواية بنت الواقع، وممراته، ولوحته التذكارية. فتفتح نوافذ مشاهدة ومعايشة لما يحدث، وتنتقل بين شخصيات متنوعة الانتماءات والطبقات والثقافات، ليُصيغ السارد أداة إضاعة لعامة البشر الذين بالضرورة يختلفون عنه. من هنا كان سرد الكاتبات العرب لحكايات أبطال رواياتهن من الرجال تحدياً لافتاً، إذ كان عليهن التخلي عن قناعاتهن الذاتية، ومشاعرهن الإيجابية والسلبية تجاه الرجل، لتقديم كتابة مقاربة للواقع. فهل نجحن في ذلك؟



مصطفى عبيد
كاتب مصري

اعتقد أن ذلك موضوعي، لا بد عندما نقرأ نصاً نشعر بصدقه.

على جانب آخر، هناك من ترين أن الكتابة بصوت الرجل ليست ضعفاً، وإنما تعبير عن اتساع وجداني وقدرة على التخيل، وفي هذا النمط من المفترض على الكاتبات التخلّص من تفضيل هذا النوع تماماً.

تؤكد القاصة والناقدة الأدبية أماني فؤاد، استناداً للنقد الأدبي باكاديمية الفنون بالقاهرة، أن فكرة الإفلات من الصورة النمطية للرجل الشرقي لدى الكاتبات تحمل مستويات متعددة لصورة الرجل في سرد المرأة.

وتشدد على أن الطابق الأساس يجسد ما تعاشه المرأة في الواقع من وجود للرجل في المجتمعات العربية، وهي عادة

لم تزل صورة نمطية يظهر فيها الرجل مهيمناً، يريد أن يُعلن تحكّمه وسيادته، التي لم يزل يورقه للغاية لو سُحبت منه بعض تجلياتها مع تطور شخصية المرأة ومكتسباتها، أما الطوابق العليا فتتضمن صورة مثلى للرجل؛ تُخلق ورقياً مما تأمله

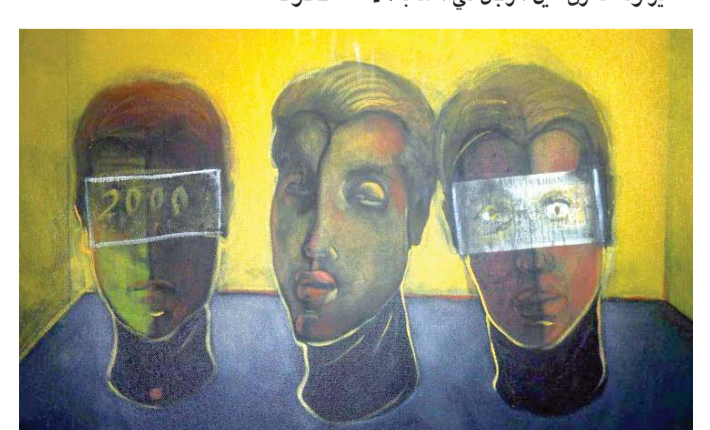
وتصبو إليه المرأة من نموذج الرجل الأمل، الذي يخالف أفكارها الذهني والعاطفي.

وتوضح هناك طوابق أخرى ترصد للتحويلات التي طرأت على شخصية الرجل، فالمرأة التي تعي العالم من حولها وتؤمن بقدراتها، عادة ما تبحث عن الرجل الشريك، لا المتحكم العنيد، تبحث عن الإنسان الذي يؤمن بها ويحوقها، يحبها وتشعر معه بصفات الرجولة، حيث الاحتواء والفهم والأمان والمساندة، كما تقدم له هذا كثيراً.

وتشير إلى أنه من الملاحظ أن هذا النموذج من الرجال لم يعد له وجود إلا نادراً، فقد حدثت تحولات شديدة في بنية وتكوين نماذج الرجال، فالعربية والأناثية والرغبة في كل شيء، وثقافة الاستهتار، والصعوبات الاقتصادية التي تسود العالم على المستوى العام، بالإضافة إلى القهر السياسي والحروب في الجانب الإقليمي العربي في بعض دوله، كما أن تدليل بعض الأسر للابناء الذكور في مجتمعاتنا الشرقية؛ أوجد نماذج من الرجال لم تعد المرأة تراها نملاً العين أو تدعو لاحترام، أو يمكن الاعتماد عليها كثيراً.

تعترف فؤاد قائلة "في سردي للقصة القصيرة لم أفلت من كل هذه النماذج التي تحدثت عنها ونكرتها، فكل هذه النماذج متجاورة في المجتمع أمومي، وكل امرأة جسدت شخصية رئيسية في نصوصي؛ واجهت نموذجاً من هؤلاء الرجال، وارتدت مع الوقت أن كلنا آخر بالنسبة إلى بعضنا البعض، فالرجل بالنسبة إلى المرأة آخر، كما أن المرأة بالنسبة إلى الرجل آخر".

وتحدثت في إحدى دراساتها النقدية عما أسمته "اللابطل" في السرد الحديث، ورأت أن الرجل الفارس البطل الذي حملت به المرأة من الصعب للغاية أن يوجد في مجتمعاتنا العربية، والتي تواجه أنواعاً متعددة من الانكسارات، لذا فإن المرأة التي صادقت هذا النموذج في الحياة هي امرأة محظولة.



تكريس قوالب جاهزة (لوحة للفنان وليد نظامي)

تكريس قوالب جاهزة (لوحة للفنان عمار النحاس)

كامرأة فيما يجب أن يكون عليه الرجل، فقدمت في روايتها "شمس تشرق مرتين" الرجل الذي تطلعت له، والذي تحتمى به دون قهر أو استعجاب، لذا فإن لقاء بطلة الرواية بحبيبها الأول خلال أحداث ثورة يناير 2011 كان بمثابة شرور جديد للشمس.

سملوى بكر
أستغرب من بعض الأدبيات اللاتي تكتبن بعين الرجل

أماني فؤاد
حدثت تحولات شديدة في بنية وتكوين نماذج الرجال

ضحى عاصي
على الكاتبات تجاوز الرؤية التي تغلب عليها ثقافة التعميم

دعاء البادي
الكتابة النسوية تقدم المرأة والرجل في صورة نمطية مكررة

صفاء النجار
الشخصيات الأدبية تتشكل من خلال تفاعلها مع محيطها

زينب عفيفي
الصورة المبكرة للرجل رسختها تجارب الكاتبات لسنوات طويلة

سعاد سليمان
الكتابة اختلفت وصارت لكل كاتبة صورة متخيلة للرجل

سمر نور
على الكاتبة التفرد بين أرائها الشخصية ونظرتها إلى الرجل

مريم عبدالعزيز
تغيرت نظرة المرأة لنفسها وصارت البطلة التي تدور حولها الحكاية

أنني أطلقت قلبي بناء على تصوراتي عن الرجل فقطعنا سافق الحياوية ما يعكس سلبياً على القضية التي أطرحها داخل النص وحتماً سيشرح القارئ بذلك وأفقد ثقته بالضرورة، إلى جانب أنني أفقد القراء من الرجال فناً على طول الخط ساكون مهاجمة لهم.

وتلجأ بعض الكاتبات إلى تنوع سمات شخصيتها من الرجال للإفلات من اتهامهن بالتعميم الجيني فتراه مرة شخصاً عنيداً وحاداً ومتخماً بالشرور، ونراه في حين آخر طيباً وشهماً ونبلاً. وعن ذلك تقول الأدبية المصرية صفاء النجار إنها عندما تكتب لا تنطلق من مسلمات متعمدة لرسم الشخصيات المفترضة، لكنها تترك القلم ليعيد تشكيل كل شخصية رسمتها ذهنياً تدريجياً، ما يعني أن كل شخصية تتشكل وتتحدد سماتها من خلال تفاعلها مع المحيط بها.

وتتذكر أن أول قصة كتبتها كان بطلها موظفاً يعاني من تعارض موعد انصرافه للعمل مع موعد قطاره اليومي، ويحتاج لربع ساعة إن انصرف مبكراً كي يلحق بالقطار ولا يضطر لانتظار القطار التالي. وفي هذه القصة لم تصف الرجل وإنما كانت متعاطفة معه إنسانياً في مواجهة رئيسه في العمل، القاسي والمشتد.

وفي نظر النجار، لكل عمل طبيعته الخاصة التي تفرض على الكاتب/الكاتبة نمطاً معيناً يتجاوز كثيراً فكرة الجينية، لكن من المنطقي أن يغلب على الراوي الصوت الأنثوي لأنه أصدق في تصويرها للتعبير عن كاتبة.

وفي تصور البعض، تطورت صورة الرجل في الكتابات النسائية وتراوحت مع التطور الجاري في المجتمعات العربية فيما يخص وضع المرأة وتفاعل المجتمع مع قضية تحررها.

وتؤكد أن هذه النمطية تغلب أيضاً على صورة الرجل الذي يوضع كثيراً في خانة الشرير أو على أحسن تقدير اللامبالي الذي صنع الم المرأة. من هنا تُسنى معظم ما يقدم من الكتابات بأبذ البكائيات وليس أدب الكاتبات العربيات.

وتشير البادي إلى محاولات التفكك من تلك النمطية في الكتابة، من خلال التخلّص من فخ التمييز بين الرجل والمرأة في الكتابة، حيث يساعدها في ذلك طبيعة الموضوعات التي تطرحها وهي غالباً ما تسعى لإبراز المعاناة الإنسانية دون تمييز على مستوى الجندر أو النوع الاجتماعي، وتبذل جهداً في محاولة الاقتراب من عالم الرجل والتحدث بلسانه، وقد وصل الأمر بها أنها كررت استخدام تذكير الصوت كلفة سرد للتوحد مع تفكير البطل.

وتفضل أن يكون أبطال نصوصها من الرجال لأنهم بطبيعة الحال يتمتعون بحرية كبيرة داخل المجتمع، مما يمنحها بالتعبئة حربة كبيرة في طرح القضايا على تنوعها ومرونة في الحكى، تقول "لو

إذا كانت الكاتبة تعيش في مجتمع يرى الرجل يقدم الرجل بصورة معينة، فغالبا ستكون الكتابة انطلاقاً من هذا التصور، سواء بالقبول أو الرفض. من هنا ظهرت كثيرة في حقيبة ما نتحدث عن هذه الأزمنة الناتجة عن وضع نمطي فرضته التقاليد وثقافة المجتمع.

كما تتغير هذه الصورة وتتبدل باختلاف الزمن والمكان والمكون الثقافي، وتتسع الرؤية كلما استطاعت الكاتبة التخلّص من ضغط الموروث والتحليل بالشخصيات لمسافات أبعد من التجربة الذاتية أو الخبرة المجتمعية أو الرؤية التي يغلب عليها ثقافة التعميم.

وتلفت عاصي إلى أنها تستطيع أن تتخيل أن قلم المرأة المبدعة يخرج من هذه الأطر النمطية كلما استطاعت التحقق وإماتلا شخصية مستقلة، فوقتها تبعد الكاتبة وتستطيع أن تكتب شخصياتها بحيادية وموضوعية وبصورة بعيدة تماماً عن التعميم.

وبالنسبة إلى تجربتها في الكتابة عن الرجل، تشير إلى أنها في رواية "القاهرة 104" والتي كانت البطولة فيها لنساء يعانين من الإحباط في الحب فقد حاولت التخلّص من الاتهام التقليدي الموجه من النساء للرجال، وركزت على فتح الرؤية لرؤية يبدو الرجل فيها بعيداً عن رؤية نساء الرواية كمتخيل أو مستهتر أو جان.

أما الروائية الشابة دعاء البادي، والتي فازت بروايتها "زهرة الأندلس" بجائزة الطيب صالح للرواية في 2019، فتسرى أن الصورة النمطية عموماً تقدم المرأة في صورة نمطية مكررة، فإما هي مغلوبه على أمرها أمام واقعها أو متحدياً له بشكل فج.

وتؤكد أن هذه النمطية تغلب أيضاً على صورة الرجل الذي يوضع كثيراً في خانة الشرير أو على أحسن تقدير اللامبالي الذي صنع الم المرأة. من هنا تُسنى معظم ما يقدم من الكتابات بأبذ البكائيات وليس أدب الكاتبات العربيات.

وتشير البادي إلى محاولات التفكك من تلك النمطية في الكتابة، من خلال التخلّص من فخ التمييز بين الرجل والمرأة في الكتابة، حيث يساعدها في ذلك طبيعة الموضوعات التي تطرحها وهي غالباً ما تسعى لإبراز المعاناة الإنسانية دون تمييز على مستوى الجندر أو النوع الاجتماعي، وتبذل جهداً في محاولة الاقتراب من عالم الرجل والتحدث بلسانه، وقد وصل الأمر بها أنها كررت استخدام تذكير الصوت كلفة سرد للتوحد مع تفكير البطل.

وتفضل أن يكون أبطال نصوصها من الرجال لأنهم بطبيعة الحال يتمتعون بحرية كبيرة داخل المجتمع، مما يمنحها بالتعبئة حربة كبيرة في طرح القضايا على تنوعها ومرونة في الحكى، تقول "لو

عادة ما تُخرّج فؤاد عن قيد الواقع وجموده في النماذج المقدمة للرجال والنساء في قصصها القصيرة بوضعها في طقس فانتازي أو غرائبي؛ وهو ما يتيح لنصوصها أن تلج مناطق مفارقة للواقع.

وتقول "إننا لا ندرك الأشخاص الموجودين في الواقع كما هي عليه في الحقيقة، وإنما كما تتراءى لنا من خلال منظورنا العقلي والوجداني وطبيعتنا، من ثم فنحن نضفي ظلالاً من لدنا، ونتوقع صفات وسمات لدى الأشخاص المائلين أمامنا، قد تكون ليست فيها، واحسب أنني أفترض الخير والنقاء في الآخرين، ومن ثم تمنع المفارقات، وتصبح موجعة أكثر مما ينبغي، ويقول الفلاسفة إن ما نطلق عليه واقعاً ليس واقعاً على الأرجح، لكنها النظرة المثالية للوجود".

ويحدد مدى بُعد المسافة بين الصورة والواقع صواب أو خطأ الرؤية، حيث يسود الوهم حين تكبر المسافة بين الصورة الذهنية للشخص وحقيقته الواقعية، فالكل، نساء ورجالاً، يعيشون التعبير عن ذاتها، وبإستطاعتها أن تحدد ما تريد وترتضيه؛ كلما ضاقتوا وفضلوا هذا الكائن السابق، الذي رؤضوه.

وتظل كتابة المرأة عن الرجل وحوله في مجتمعاتنا العربية، يحوطها الكثير من التحفظات، وتخضع لكونها واقعة دائماً في منطقة شائكة، منطقة يحددها كثير من المحاذير المجتمعية، فلم يزل ما يُقبل من الرجل لا يُقبل عادةً من المرأة، حيث يربط القارئ مباشرة بين الشخص التي تكتب عنها المرأة وتجربتها الشخصية، ويبحثون عنها داخل النص، ولذا تصور أن كتابة المرأة للسرد لا تحظى بنفس

هامش الحرية التي يحظى بها الرجل، ولذا تجتهد بعض الكاتبات في إيجاد تقنيات فنية تجعلها تلج، وتكفي، وترمز لكثير مما تريد أن تبوح به.

وتعتقد بعض الكاتبات أن تمييزهن في الكتابة يستدعي القدرة على تبديل وتغيير السمات الحاكمة لكل شخصية لديها، مع تنوع صور الرجال لديها، حيث تقول الروائية المصرية ضحى عاصي، والتي دخلت روايتها الأحدث "غيوم فرنسية" في قائمة ساويرس للرواية هذا العام، إن قلم الكاتب يُعبر عن خبرته ورؤيته للعالم، وبالتالي، فالكتابة عن الرجل جزء من وعي الكاتبة وخبراتها والعكس،

تعتبر بعض الكاتبات أن تمييزهن في الكتابة يستدعي القدرة على تبديل وتغيير السمات الحاكمة لكل شخصية لديها، مع تنوع صور الرجال لديها، حيث تقول الروائية المصرية ضحى عاصي، والتي دخلت روايتها الأحدث "غيوم فرنسية" في قائمة ساويرس للرواية هذا العام، إن قلم الكاتب يُعبر عن خبرته ورؤيته للعالم، وبالتالي، فالكتابة عن الرجل جزء من وعي الكاتبة وخبراتها والعكس،

تعتبر بعض الكاتبات أن تمييزهن في الكتابة يستدعي القدرة على تبديل وتغيير السمات الحاكمة لكل شخصية لديها، مع تنوع صور الرجال لديها، حيث تقول الروائية المصرية ضحى عاصي، والتي دخلت روايتها الأحدث "غيوم فرنسية" في قائمة ساويرس للرواية هذا العام، إن قلم الكاتب يُعبر عن خبرته ورؤيته للعالم، وبالتالي، فالكتابة عن الرجل جزء من وعي الكاتبة وخبراتها والعكس،

تعتبر بعض الكاتبات أن تمييزهن في الكتابة يستدعي القدرة على تبديل وتغيير السمات الحاكمة لكل شخصية لديها، مع تنوع صور الرجال لديها، حيث تقول الروائية المصرية ضحى عاصي، والتي دخلت روايتها الأحدث "غيوم فرنسية" في قائمة ساويرس للرواية هذا العام، إن قلم الكاتب يُعبر عن خبرته ورؤيته للعالم، وبالتالي، فالكتابة عن الرجل جزء من وعي الكاتبة وخبراتها والعكس،